Current Studies in Nahj-ul-Balaghah Open Access

Vol. 9, No. 2, (Issue 18) Spring & Summer 2026: 31-48
DOI: 10.30473/anb.2026.78702.1504

ORIGINAL ARTICLE

An Analytical Study of the Obstacles to Right Guidance in Imam ʿAlī's Thought in Light of Nahj-ul-Balagha

Somayeh Salmanian

Department of Theology, Faculty of Humanities, Bu- Ali Sina University, Hamedan, Iran.

Correspondence:
Somayeh Salmanian
Email: s.salmanian@basu.ac.ir

Received: 25 Aug 2026
Accepted: 08 Nov 2026

ABSTRACT

This study examines the obstacles to right guidance (*rushd*) in *Nahj-ul-Balagha*, focusing on their nature, interrelationships, and the practical means proposed by Imam ʿAlī (peace be upon him) for overcoming them. In the Qur'anic worldview, *rushd* denotes the path of truth, goodness, and human felicity and is associated with sound belief, moral integrity, self-purification, and adherence to divine guidance. Through an inductive-analytical examination of relevant passages from *Nahj-ul-Balagha*, in conjunction with related Qur'anic verses, authoritative commentaries, and scholarly sources, the study identifies four major obstacles: following Satan, following sensual desires, following *hawā* (self-directed desire), and attachment to the worldly life and its attractions. The findings show that these obstacles do not operate independently but constitute a progressive system beginning with external satanic temptation, developing through internal responsiveness to sensual desires, becoming established through the domination of *hawā* over judgment and will, and ultimately manifesting in attachment to worldly attractions. Imam ʿAlī's approach combines diagnosis with a practical educational program based on piety, self-discipline, control of desires, remembrance of death and the Hereafter, and adherence to the Qur'an and Sunnah. The study concludes that *Nahj-ul-Balagha* offers an integrated ethical and educational framework for understanding human deviation and directing individuals and society toward genuine *rushd*.

KEYWORDS

Nahj-ul-Balagha; Obstacles to Rectitude; Following Satan; Following Sensual Desires; Following Self-Desire; Following the World.

How to cite

Salmanian, S. (2026) An Analytical Study of the Obstacles to Right Guidance in Imam ʿAlī's Thought in Light of Nahj-ul-Balagha. *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*, 9(2), 31-48.
(DOI: 10.30473/anb.2026.78702.1504)

Copyright © 2026 The Authors. Published by Payame Noor University.
This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/). Non-commercial uses of the work are permitted, provided the original work is properly cited.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

السنة التاسع، العدد الثاني (المتوالي ١٨) ربيع و صيف، ١٤٠٥ش/ ١٤٤٨ق. (٣١-٤٨)

DOI: 10.30473/anb.2026.78702.1504

«مقاله پژوهشی»

معوقات الرشاد عند الإمام علي (ع): دراسة تحليلية في ضوء نهج‌البلاغة

سمية سلمانيان

أستاذة مساعدة في قسم الإلهيات بجامعة بوعلى سينا، همدان، إيران.

المؤلف المسؤول:
سمية سلمانيان

بريد االكتروني:
s.salmanian@basu.ac.ir

تاريخ القبول: ١٤٤٨/٠٣/١٢
تاريخ الاستلام: ١٤٤٨/٠٥/٢٨

إرسال الاستشهاد إلى:
سلمانيان، سمية. (١٤٤٨). معوقات الرشاد عند الإمام علي (ع): دراسة تحليلية في ضوء نهج‌البلاغة. *دراسات حديثة في نهج البلاغة*، ٩(٢)، ٣١-٤٨.
(DOI: 10.30473/anb.2026.78702.1504)

المخلص

يهدف هذا البحث إلى استقراء معيقات الرشاد في نهج‌البلاغة، وتحليل طبيعتها، والكشف عن العلاقة بينها، وبيان المنهج الذي رسمه الإمام علي (ع) لتجاوزها في ضوء الرؤية العلوية المستندة إلى الكتاب والسنة. وتنبع أهمية الدراسة من إبراز التصور التربوي والأخلاقي الذي يقدمه نهج‌البلاغة في بناء الإنسان وتزكية نفسه، وتوجيهه نحو سبيل الرشاد، ومواجهة التحديات الفكرية والسلوكية المعاصرة، مثل النزعة المالية، وضعف الإرادة، وتفكك الروابط الاجتماعية، من خلال قراءة تحليلية للنص العلوي بوصفه مرجعا في إصلاح الفرد والمجتمع. واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الاستقرائي، من خلال تتبع نصوص نهج‌البلاغة وربطها بالآيات القرآنية ذات الصلة، مع الإفادة من شروح النهج والمصادر العلمية المعتبرة؛ للكشف عن الأبعاد المعرفية والنفسية والاجتماعية لهذه المعيقات. وتبين أن نهج‌البلاغة يقدم منظومة مترابطة من معيقات الرشاد تنتظم في أربعة محاور رئيسة: اتباع الشيطان بوصفه مصدر الإغواء الخارجي، واتباع الشهوات باعتبارها مدخل الانحراف النفسي، واتباع الهوى الذي يفضي إلى اختلال معيار التمييز بين الحق والباطل، ثم اتباع الدنيا الذي يرسخ هذه المؤثرات في السلوك الإنساني. كما أظهرت الدراسة أن هذه المعيقات لا تعمل بصورة منفصلة، بل تتفاعل ضمن بناء متكامل يبدأ بالإغواء الخارجي، ثم يتحول إلى استعداد نفسي، لينتهي إلى انحراف في الإدراك والسلوك يعوق مسيرة الإنسان نحو رشاده المنشود. وأوضحت الدراسة أن الرؤية العلوية في نهج‌البلاغة لم تقتصر على تشخيص هذه المعيقات ، بل رسمت منهجا عمليا لتجاوزها، يقوم على تقوى الله، ومراقبته، والزهد في زخارف الدنيا، وقصر الأمل، واستحضار الموت، والرجوع إلى هدي الكتاب والسنة، والاعتصام بحبل الله؛ بما يحفظ وحدة الأمة ويحول دون الاستجابة لدواعي الهوى ووساوس الشيطان. وتؤكد نتائج الدراسة أن الرؤية العلوية، المستندة إلى الهدي القرآني، تقدم نموذجا تربويا متماسكا في تشخيص أسباب الانحراف، وبناء الإنسان، وتوجيهه نحو الرشاد.

الكلمات الدليلية:
نهج‌البلاغة، معيقات الرشاد، اتباع الشيطان، اتباع الشهوات، اتباع الهوى، اتباع الدنيا.

حق نشر هذه الوثيقة يعود لمؤلفيها. ١٤٤٨. ناشر هذه المقالة هو جامعة بيام نور.

تم نشر هذه المقالة بموجب الشهادة التالية ويسمح بأي استخدام غير تجاري لها بشرط االستشهاد بالمقالة بشكل صحيح وبما يتوافق مع الشروط المذكورة في العنوان أدناه.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)

المقدمة

جعل القرآن الكريم هداية الإنسان إلى سبيل الحق الغاية الأساس للرسالات الإلهية، وربط بلوغ الرشاد بسلامة العقيدة، واستقامة السلوك، وتزكية النفس، والالتزام بمنهج الله تعالى. والرشاد —كما بيّن القرآن في قول المؤمن الصادق: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٣٨]، هو سبيل الثواب و الخير و ما يؤدي إليه، وهو نقيض الغي، كما ذهب إليه صاحب التفسير الكبير (الفخر الرازي، ١٤٢٠ق: ٢٧،/ ٥١٨)، وهو السبيل التي في سلوكها إصابة الحق والظفر بالسعادة، على ما أكّده العلامة الطباطبائي (١٣٥٢ش: ١٧/ ٣٣٢). غير أن هذه المسيرة لا تخلو من معوقات تحول بين الإنسان وبين تحقيق هذا الرشاد، فتضعف بصيرته، وتفسد إرادته، وتصرفه عن الغاية التي خلق من أجلها. وقد حظيت هذه المعوقات بعناية واضحة في القرآن الكريم، ثم تجلت معالمها في كلمات الإمام علي بن أبي طالب (ع) في نهج‌البلاغة، الذي يمثل مرجعا أصيلا في بناء الرؤية الأخلاقية والتربوية، بما يشتمل عليه من تحليل دقيق لطبيعة النفس الإنسانية، وبيان أسباب الانحراف، وسبل الارتقاء بالإنسان نحو رشاده المنشود. وتنبع أهمية هذه الدراسة من أنها لا تقتصر على استقراء النصوص المتعلقة بمعوقات الرشاد في نهج‌البلاغة، وإنما تسعى إلى تحليلها في ضوء النصوص القرآنية ذات الصلة، للكشف عن الأبعاد النفسية والتربوية والاجتماعية لهذه المعوقات، وتبرز بذلك معالم الرؤية العلوية في معالجة قضايا لا تزال حاضرة في الواقع الإنساني، مثل ضعف الإرادة، والانحراف الأخلاقي، والاستغراق في الماديات، والتفكك الاجتماعي.

واعتمدت الدراسة المنهج التحليلي الاستقرائي، من خلال تتبع النصوص الواردة في نهج‌البلاغة، وربطها بالآيات القرآنية ذات الصلة، ثم تحليلها في ضوء شروح نهج‌البلاغة والمصادر المعتبرة؛ للكشف عن الدلالات المعرفية والأخلاقية والتربوية الكامنة فيها، وبيان كيفية تفاعل هذه المعوقات في تكوين منظومة متكاملة تحول دون بلوغ الإنسان الرشاد.

وينطلق البحث من التساؤلات الآتية:

— ما أبرز معوقات الرشاد التي تناولها نهج‌البلاغة؟

— وكيف ترتبط هذه المعوقات بعضها ببعض في بناء منظومة متكاملة تؤثر في مسيرة الإنسان نحو الهداية؟

— وما السبل التي يقدمها الإمام علي (ع) للتحرر من هذه المعوقات كما عرضها نهج‌البلاغة؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، انتظمت الدراسة في أربعة محاور رئيسة تمثل أبرز المعوقات التي حذر منها الإمام علي (ع)، وهي:

اتباع الشيطان، واتباع الشهوات، واتباع الهوى، واتباع الدنيا. وقد تناولت الدراسة كل معوق من حيث مفهومه، وجذوره، ومظاهره، وآثاره، وعلاقته بالمعوقات الأخرى، ثم بينت وسائل التحرر منه استنادا إلى نصوص نهج‌البلاغة مع الاستشهاد بالآيات القرآنية ذات الصلة، وصولا إلى إثبات أن هذه المعوقات لا تعمل بصورة منفصلة، بل تشكل منظومة مترابطة تبدأ بالإغواء الخارجي، ثم الاستجابة الداخلية للشهوات، فاستحكام الهوى وسيطرته على الإرادة، وتنتهي باتباع الدنيا وزخارفها، وهو ما ترسمه الرؤية العلوية في نهج‌البلاغة، المستندة إلى تعاليم القرآن الكريم، لتحقيق رشاد الإنسان.

الدراسات السابقة

تتنوع الدراسات التي تناولت نهج‌البلاغة في علاقته بمفهوم الرشاد، غير أنّ مقارباتها تتفاوت في المنهج والعمق والشمول. وسنعرض في هذا المقطع أربع دراسات ثمّ نبين وجه اختلاف بحثنا الحالي عنها.

الدراسة الأولى: مقال بعنوان: «بررسی و تحلیل بزرگ‌ترین موانع رشد و کمال انسان در نهج‌البلاغة و مثنوی» (تحليل أعظم عقبات الرشد والكمال الإنساني في نهج‌البلاغة والمثنوي)، لزهرا حسيني ونجف جوكار (١٣٩٣ش). يعتمد المنهج المقارن، مركزا على ثلاثة عوامل هي: النفس الأمّارة، والشيطان، وحب الدنيا، ويبرز اختلاف الترجيح بين المصدرين في خطورة كلّ عامل. لكنه يقتصر على ثلاثة معوقات، ويغفل الهوى كمعوق مستقل، ويشتت انتباهه المقارنة مع المثنوي عن تقديم رؤية متكاملة.

الدراسة الثانية: مقال بعنوان: «كمال در كلام اميرالمومنين عليه السلام» (الكمال في كلام أمير المؤمنين عليه السلام)، لإبراهيم سميحي ومهدي مطيع ومحمدرضا حاجي إسماعيلي (١٤٠٠ش). يهدف إلى استقراء رؤية الإمام (ع) إلى الكمال، معتمدا المنهج الوصفي التحليلي، ويصنف الرؤية العلوية إلى إيجابية وسلبية، ويربط الكمال بالقيمة الذاتية للإنسان (العقل) وبالعلاقة بين اللسان والقلب. غير أنه لا يتناول المعوقات في إطار شامل.

الدراسة الثالثة: مقال بعنوان: «مولفه‌هاى كمال انسانى در خطبه متقين اميرالمومنين در ن نهج‌البلاغة» (مكونات الكمال الإنساني في خطبة المتقين لأمير المؤمنين في نهج‌البلاغة)، لمهرناز دادخواه وطيبة أكبري راد ومحمد قاسمي (١٤٠٤ش). تركز على خطبة المتقين تحديدا، مستقرئة صفات الكمال الإيجابية كالتقوى والصدق والزهد والاستقامة. لكنها محصورة في خطبة واحدة، وتتناول الصفات المثالية دون تحليل المعوقات السلبية.

الدراسة الرابعة: كتاب عربي بعنوان: «فقه منع النفس من التسرع إلى هواها في نهج‌البلاغة: عهد مالك الأشتر اختيارا»، للسيد نبيل الحسني الكربلائي (٢٠٢٣م). يتناول مخاطر اتباع الهوى بوصفه المصد الأكبر عن الحق، ويستعرض المنهج التربوي في عهد الأشتر، ويقدم برنامجا تحصينيا لمنع التسرع نحو الأهواء. لكنه يقتصر على معوق واحد (الهوى)، ولا يضم المعوقات الأخرى في نسق واحد.

يختلف هذا البحث عن الدراسات السابقة في أنه يقدّم منظومة متكاملة للمعوقات الأربعة الكبرى للرشاد (اتباع الشيطان، واتباع الشهوات، واتباع الهوى، واتباع الدنيا) في دراسة تحليلية واحدة، ويكشف عن العلاقة العضوية المتدرجة بينها: بدءا بالإغراء الخارجي، ثم الاستجابة الباطنية، ثم تحول الهوى إلى معيار فكري يحجب البصيرة، وانتهاء بالتعلق بالدنيا. كما أنّه يركز على مفهوم الرشاد بوصفه مسارا سلوكيا إجرائيا، لا على الكمال بوصفه غاية مثالية فقط، ويعتمد على الرؤية العلوية في نهج‌البلاغة بوصفها المصدر الأساسي، مع الاستناد إلى القرآن الكريم كخلفية تأصيلية مؤيدة.

اتّباع الشيطان: الجذر الخارجي للغواية

يشكّل اتّباع الشيطان نقطة البداية في منظومة المعوقات التي تحول دون بلوغ الإنسان الكمال؛ إذ يمثّل العامل الخارجي الذي يسعى إلى صرف الإنسان عن طريق الهداية وإضعاف صلته بالله تعالى. وقد عرض القرآن الكريم الشيطان بوصفه عدوّاً للإنسان، وكشف عن طبيعة عداوته وأساليب إغوائه منذ امتناعه عن السجود لآدم، كما تناول نهج‌البلاغة هذه الحقيقة من منظور تربوي وأخلاقي مبيّنا الدوافع التي قامت عليها معصيته، والوسائل التي يعتمدها في إضلال الإنسان، وآثار الاستجابة لوساوسه في الفكر والسلوك.

ومن ثم، فإن دراسة هذا المحور لا تقتصر على بيان عداوة الشيطان، بل تمتد إلى تحليل الأسس النفسيّة والأخلاقيّة التي تجعل الإنسان عرضةً لإغوائه، وبيان الوسائل التي اعتمدها الإمام علي(ع) في التحذير من اتّباعه، وذلك من خلال استقراء النصوص القرآنية والعلوية وتحليلها، تمهيدا للكشف عن موقع هذا العامل في البناء المتكامل لمعوّقات الكمال

الإغواء الإبليسي في الرؤية العلوية

يُعدّ اتّباع الشيطان أولى العقبات التي تحول دون بلوغ الكمال؛ لأنّه يمثّل المدخل الخارجي للإضلال، ومنه تبدأ محاولات صرف الإنسان عن سبيل الهداية. وقد عرض القرآن الكريم حقيقة هذه العداوة، مبيّنا أنّها امتداد لموقف إبليس من السجود لآدم، وأنّ غايتها إبعاد الإنسان عن طاعة الله وإيقاعه في الغواية. قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]، ثمّ بيّن سبحانه أنّ من يتّخذه وليّا فقد خسر خسرانا مبينا. ويرى العلامة فضل الله أنّ الإضلال في الآية هو قيادة الإنسان إلى الضياع، حيث لا يجد أمامه العلامات الهادية إلى مقاصده الَّتي تفتح له أبواب الهدى. أمّا الأماني فتمثّل انشغالا بالأوهام يحول بينه وبين إدراك الحقيقة (فضل‌الله، ١٤٣٩ق: ٤/ ٣٨٩).

ويؤكّد إبليس عزمه على هذا المسلك بقوله :﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ

الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]، فجعل التزيين أبرز وسائل الإغواء، مع الإقرار بعجزه عن التأثير في المخلَصين. كما حذّر القرآن من الوقوع في فتنته، مستحضرا ما جرى لأبوي البشر، فقال تعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]. ويذهب الطباطبائي إلى أن الله تعالى يريد إن يقول: أن لكم معاشر الآدميين سوآت لا يسترها إلا لباس التقوى الذي ألبسناكموه بحسب الفطرة التي فطرناكم عليها فإياكم أن يفتنكم الشيطان فينزع عنكم ذلك كما نزع لباس أبويكم في الجنة ليريهما سوآتهما (الطباطبائي، ١٣٥٢ش: ٨/ ٧٠). وترجع هذه العداوة إلى أصلها الأوّل، وهو امتناع إبليس عن السجود، قال تعالى :﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. ويعلّق مكارم الشيرازي بأنّ منشأ هذا الموقف هو الكِبر والغرور الناتجان عن قياسٍ خاطئ فضّل فيه إبليس أصله الناري على أصل آدم الطيني، و لا ينبغي أن يصدر له أمر بالسجود لآدم، بل ينبغي أن يؤمر آدم بالسجود له (مكارم الشيرازي، ١٣٧٩ش: ١/ ١٦٤).

ويتجاوز نهج‌البلاغة مجرّد عرض الواقعة إلى تحليل دوافعها الأخلاقيّة والنفسيّة. ففي وصفه لموقف إبليس يقول الإمام (ع): «فَقَالَ سُبْحَانَهُ: اسْجُدُوا لِآدَمَ، فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ، اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ، وَتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ، وَاسْتَوْهَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ» (الخطبة: ١). ويكشف هذا النصّ أنّ الحميّة والغرور كانا المنطلق الحقيقي لتمرّد إبليس، لا مجرّد الامتناع عن الامتثال. وفي هذا السياق يقول الموسوي: «أخذته الأنفة وسنّها لمن بعده فأصبح صاحب مدرسة يخرّج منها القوافل والقادة... إنه رأى نفسه متعالية متكبرة رآها أعظم من آدم حيث أعظم خلق النار وحقّر خلق الصلصال الذي هو الطين الذي خُلق منه آدم» (الموسوي، ١٤١٨ق: ١/ ٣٩).

ويؤكّد الإمام (ع) هذا المعنى في موضع آخر بقوله: «اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ؛ فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ» (الخطبة ١٩٢). ويُفهم من هذا النصّ أنّ العصبيّة ليست سلوكا عارضا، بل هي امتداد للمنطق الذي بنى عليه إبليس اعتراضه، إذ انشغل بالمظاهر وأغفل حقيقة الإنسان التي أشار إليها القرآن بقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [ص: ٧٢]. ومن هنا يرى مكارم الشيرازي أنّ السبب الجوهري في معارضة إبليس هو العصبيّة والغرور الناشئان عن حبّ الذات والإعجاب بالنفس، مع الغفلة عن الروح الإلهيّة التي تمثّل حقيقة الإنسان (مكارم الشيرازي، ١٣٧٥ش: ٧/ ٣٥٩).

ولا يقف أثر هذا المنطق عند حدود تمرّد إبليس، بل يمتدّ إلى إفساد علاقة الإنسان بربّه؛ إذ يقول الإمام (ع): «لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ» (الخطبة ١). وقد ذهب المحقّقون إلى أنّ إنّ قصور معرفتهم بالله تعالى هو الذي أرداهم في مهاوي الشرك المهلكة، وأحاطت بهم الشياطين من كلِ جانب، فصدَّتهم عن عبادة الله وطاعته (مكارم الشيرازي، ١٣٧٥ش: ١/ ٢١٤).

كما لا تقتصر وظيفة الشيطان على الإغواء العقدي، بل تمتدّ إلى تثبيط الإنسان عن فعل الخير؛ إذ يقول الإمام (ع) :«وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ» (الرسالة ٧٣). ويرى مغنية أنّ هذا التثبيط يكشف عن محاولة الشيطان بسط نفوذه على الإنسان حتى يصرفه عن أسباب الهداية والإصلاح و لا يضر بذلك أحدا سواه (مغنية، ١٩٧٩م: ٤/ ١٩٤).

وتكشف النصوص المتقدّمة أنّ القرآن الكريم و نهج‌البلاغة يلتقيان في بيان حقيقة الإغواء الشيطاني، مع امتياز الخطاب العلوي بتعميق البعد التربوي والأخلاقي لهذه الظاهرة؛ إذ يردّها إلى الكِبر والعصبيّة والإعجاب بالنفس، ثم يبيّن آثارها في حجب المعرفة، وإضعاف الإرادة، وصرف الإنسان عن العمل الصالح. وبهذا يتّضح أنّ اتّباع الشيطان يمثّل الحلقة الأولى في منظومة معوّقات الكمال، ومنه تنشأ سائر المعوقات التي سيتناولها البحث في المباحث اللاحقة.

استراتيجيات الشيطان في إغواء الإنسان

بعد بيان الأسس النفسية التي انطلق منها تمرّد إبليس، وفي مقدّمتها الكبر والعصبيّة والإعجاب بالنفس، ينتقل نهج‌البلاغة إلى مستوى آخر من التحليل، فيكشف عن الكيفيّة التي تتحوّل بها هذه الدوافع

إلى وسائل عمليّة لإضلال الإنسان. فالشيطان، في الرؤية العلويّة، لا يقتصر دوره على الوسوسة المجرّدة، بل يعتمد منظومة متكاملة من الأساليب التي تستهدف فكر الإنسان وسلوكه وعلاقاته الاجتماعيّة، بحيث تتساند هذه الأساليب فيما بينها لتحقيق غاية واحدة، هي صرف الإنسان عن الحقّ وإحلال الباطل محلّه. ويمكن تصنيف هذه الأساليب في ستّ استراتيجيّات متكاملة.

تقوية صفّ الباطل

تبدأ عمليّة الإغواء بتعزيز حضور الباطل في الواقع الاجتماعي، وذلك من خلال جمع قواه وتوحيد عناصره في مواجهة الحقّ. ويشير الإمام عليّ (ع) إلى هذه الحقيقة في معرض حديثه عن الناكثين، بقوله: «أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ» (الخطبة: ٢٢). ويصوّر الإمام الشيطان قائدا يعبّئ أتباعه ويجمع قواهم لإعادة إنتاج الباطل وتمكينه في المجتمع، بما يكشف عن أنّ الصراع بين الحقّ والباطل لا يقوم على الجهد الفردي فحسب، بل يعتمد أيضا على بناء شبكات من المصالح والقوى الداعمة للانحراف. وفي تفسيره لهذه الخطبة، يربط المنتظري هذا المشهد بوقعة الجمل، مبينا أنّ الشيطان استثمر دوافع الطمع في المال والسلطة لإثارة الفتنة وتقوية جبهة الباطل (المنتظري، ١٣٨٣ش: ٢/ ٣٥٢). ويظهر من ذلك أنّ النفوذ الشيطاني كثيراً ما يتحقّق عبر استثمار الدوافع الدنيويّة أكثر من تحقّقه بالمواجهة المباشرة.

مزج الحقّ بالباطل

إذا كان تقوية الباطل تمثّل المرحلة الأولى في المواجهة، فإنّ أخطر وسائل الشيطان تتمثّل في إخفاء الباطل داخل إطار من الحقّ، بحيث يلتبس الأمر على الناس. ويعبّر الإمام (ع) عن هذه الحقيقة بقوله: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ» (الخطبة: ٥٠).

ويكشف هذا النصّ أنّ موطن الخطر لا يكمن في الباطل الصريح، بل في الباطل الذي يتزيّا بلباس الحقّ، فيصبح أكثر قدرة على التأثير والإقناع. ولذلك يرى الموسوي أنّ المبتدع يستمدّ مادّته من الباطل، لكنه يكسوها بشعارات الحقّ، فيستهوي الضعفاء وأصحاب العقول الخفيفة فيجرهم إليه وإلى نهجه (الموسوي، ١٤١٨ق: ١/ ٣٤٦-٣٤٧). كما يذهب ابن ميثم إلى أنّ هذا الامتزاج يفضي إلى اتّباع الأهواء والأحكام المخالفة لكتاب الله، ولا ينجو منه إلا من رزقهم الله بصيرة تميّز بين الحقّ والباطل، و أولئك هم عن النار مبعدون (ابن ميثم، ١٤٠٤ق: ٢/ ١٣٤-١٣٥). ومن ثمّ، فإنّ اختلاط المفاهيم يمثّل أحد أخطر ميادين الإغواء؛ لأنّه يصيب معيار التمييز قبل أن يصيب السلوك.

تمهيد سبل الغي

لا يعتمد الشيطان على الإغراء المباشر وحده، بل يعمل على تهيئة الطريق أمام الإنسان بصورة تدريجيّة، بحيث يصبح الانحراف أمرا مألوفا. ويقول الإمام (ع): «إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ، وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ» (الخطبة: ١٢١).

ويشير تعبير «يُسَنِّي» إلى التسهيل والتمهيد، بما يدلّ على أنّ الشيطان لا يدعو إلى الانحراف دفعة واحدة، وإنما يضع الإنسان في مسار متدرّج ينتهي إلى تفكيك التزامه الديني. ومن هنا فسّر الهاشمي الخوئي هذا التعبير بأنّه تهيئة أسباب الانحراف شيئاً فشيئاً، حتى تنفصم عرى الدين، ويتحوّل اجتماعهم إلى الافتراق و اتفاقهم إلى النفاق ، ثمّ تؤول الفرقة إلى الفتنة (الهاشمي الخوئي، ١٤٠٠ق: ٨/ ١٣٨).

ويكشف هذا النصّ عن سنّة مهمّة في الإغواء؛ إذ إنّ الانحراف غالبا لا يبدأ بالمواقف الكبرى، وإنما ينشأ من التهاون في المبادئ، ثم يتدرّج حتى يطال البناء العقدي والاجتماعي بأكمله. ولذلك ربط الإمام (ع) بين تفكيك الالتزام الديني وبين تمزيق وحدة المجتمع، لأنّ كليهما نتيجة لمسار واحد يقوده الشيطان بأسلوب تدريجي ومدروس.

الإتيان من الجهات

لا يقف الإغواء الشيطاني عند حدّ تزيين الباطل أو تيسير سبل الانحراف، بل يمتدّ ليحيط بالإنسان من مختلف جوانب حياته، مستهدفا مواطن ضعفه النفسي والفكري والسلوكي. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قول إبليس :﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، وهو المعنى الذي استحضره الإمام علي (ع) في كتابه إلى زياد بن أبيه، إذ قال: «فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ» (الرسالة: ٤٤).

ويكشف هذا النصّ أنّ الشيطان لا يعتمد مدخلا واحدا في الإغواء، وإنما يبدّل وسائله تبعا لأحوال الإنسان وظروفه. وفي تفسير الجهات الأربع، يذكر ابن أبي الحديد أنّ الإتيان من بين أيديهم يكون بإغرائهم بالأمن من العقوبة والتهاون في المعصية، ومن خلفهم بتحبيب جمع الأموال وادّخارها للأبناء، وعن أيمانهم بإثارة حبّ الجاه والرئاسة والثناء، وعن شمائلهم بتزيين الشهوات واللذّات (ابن أبي الحديد، د.ت: ١٦/ ١٧٨). ويؤكّد هذا التفسير أنّ الإغواء لا يقتصر على جانب دون آخر، بل يشمل مختلف الميول التي قد تنحرف بالإنسان عن الاعتدال.

ويبيّن الإمام (ع) شدّة قرب هذا الخطر من الإنسان بقوله: «فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ» (الخطبة: ١٩٢). ويذهب ابن أبي الحديد إلى أنّ الشيطان رماهم من مكان قريب؛ لأنّه يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ وَ يُخَالِطُ الْقَلْبَ. و لا شيء أقرب من ذلك (ابن أبي الحديد، د.ت: ١٣/ ١٣٩). كما يلفت مغنية إلى أنّ الشيطان لا يملك سلطة الإكراه، وإنما يعتمد التزيين والإغراء وإطلاق الوعود الكاذبة حتى يحمل الإنسان على الانحراف باختياره، ويقترب منه حيث يجري منه مجرى الدم (مغنية، ١٩٧٩م: ٣،/ ١١٥).

الهيمنة وتشكيل الحزب

إذا نجحت المراحل السابقة في التأثير في الأفراد، انتقل الشيطان إلى مرحلة أكثر خطورة، تتمثّل في إحكام سلطانه وتكوين جماعة تتبنّى مشروعه وتعمل على نشره. ويعبّر الإمام (ع) عن هذه المرحلة بقوله: «اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ» (الخطبة: ١٩٢). ولا يفهم من هذا السلطان أنّه قهرٌ خارج عن إرادة الإنسان، وإنما هو ثمرة الاستجابة المتكرّرة لوساوس الشيطان حتى تضعف مقاومة النفس. ولذلك يرى الموسوي أنّ قوّة الشيطان لا تتحقّق إلا بعد قبول الإنسان بإغوائه، وأنّ جنوده الحقيقيّين هم الشهوات والأهواء والعصبيّات التي تتسلّط على النفس (الموسوي، ١٤١٨ق: ٣/ ٢٩٤). كما يفسّر ابن ميثم «الاستفحال» بأنّه استعارة لشدّة سطوة الشيطان و سلطانه، وإشارة إلى كمال قدرته على تطويع النفوس وقهرها، وأنّ جنوده هم دعاة الفساد الذين يروّجون للرذائل ويزيّنونها للناس (ابن ميثم، ١٤٠٤ق: ٤/ ٢٥٣).

ويكشف الإمام (ع) طبيعة هذه الجماعة بقوله: «اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ... فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ» (الخطبة: ١٩٢). ويستفاد من هذا النصّ أنّ أخطر أدوات الشيطان ليست الوسوسة المباشرة، بل الأشخاص الذين يتحوّلون إلى وسائط لنشر الضلال بين الناس. ومن هنا يرى مغنية أنّ الزعماء المنحرفين إنّما يتحرّكون وفق المنهج الذي رسمه الشيطان، فيصبحون لسانه الذي ينطق به وأداة تأثيره في المجتمع (مغنية، ١٩٧٩م: ٣/ ١٢١).

التحالف مع أهل النفاق

تبلغ استراتيجيّات الشيطان ذروتها عندما يجد في المنافقين بيئة قادرة على نشر الانحراف تحت غطاء الصلاح؛ لأنّ خطرهم لا يكمن في المواجهة الصريحة، وإنما في قدرتهم على إخفاء مقاصدهم الحقيقيّة. ولهذا حذّر الإمام علي (ع) منهم بقوله: «أُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً... فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ وَحُمَةُ النِّيرَانِ»، ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩] (الخطبة: ١٩٤).

ويبيّن مكارم الشيرازي أنّ الإمام فرّق بين الضلال والزلل؛ فالضلال يدلّ على الانحراف المقصود القائم على الوعي والإصرار، في حين يشير الزلل إلى كثرة الوقوع في الخطأ وإيقاع الآخرين فيه،

وبذلك يجمع المنافق بين فساد نفسه وإفساد غيره (مكارم الشيرازي، ١٣٧٥ش: ٧/ ٦٠٦-٦٠٧).

ثم يكشف الإمام (ع) جانبا آخر من منهجهم بقوله: «قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا... يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ... يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ، قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ» (الخطبة: ١٩٤). ويظهر من هذا النصّ أنّ المنافقين لا يواجهون الحقّ مواجهة مباشرة، بل يعملون على تشويه مفاهيمه، وإلباس الباطل ثوب الحق، وتغيير معايير التقييم لدى الناس. ولذلك يرى مغنية أنّهم يجسّدون مختلف صور النفاق، ويتعمّدون خلط الحقّ بالباطل لإضلال الناس مع علمهم بحقيقة ما يصنعون (مغنية، ١٩٧٩م: ٣/ ١٧٧-١٧٨). ويتبيّن من مجموع هذه النصوص أنّ المنافقين يمثّلون الامتداد الاجتماعي للمشروع الشيطاني؛ إذ يتحوّل الإغواء على أيديهم من سلوك فردي إلى ظاهرة مجتمعيّة يصعب تمييزها، لما تتّسم به من التمويه وإظهار الصلاح، وهو ما يفسّر شدّة تحذير الإمام (ع) منهم في أكثر من موضع من نهج‌البلاغة.

اتّباع الشهوات: المحرّك الباطني للغواية

إذا كان اتّباع الشيطان يمثّل العامل الخارجي في مسار الإضلال، فإنّ اتّباع الشهوات يمثّل البعد الداخلي الذي يجعل الإنسان أكثر استعدادا للاستجابة لوساوسه. فالشيطان لا يملك أن يفرض سلطانه على الإنسان، وإنما يجد في الشهوات المنفلتة منفذا إلى النفس، فتتحوّل الرغبات إذا فقدت ضابطها الشرعي والأخلاقي إلى مدخل رئيس للانحراف عن طريق الهداية. ولا ينظر القرآن الكريم إلى الشهوات بوصفها أمرا مذموما في ذاتها؛ إذ أودعها الله في فطرة الإنسان تحقيقا لمصالح حياته واستمرار نوعه، وإنما يكون الخلل حين تتحوّل من وسائل مشروعة إلى غايات تحكم السلوك وتوجّه الإرادة بعيدا عن أوامر الله تعالى. ومن هذا المنطلق، تناول نهج‌البلاغة الشهوات بوصفها أحد أهمّ معوّقات الكمال، لما يترتّب على الانقياد لها من اضطراب في القيم، وظهور الفتن، واختلال ميزان الحكم على الأفعال.

وانطلاقا من هذا التصوّر، يتناول هذا المحور طبيعة الشهوات في ضوء نهج‌البلاغة ، مبيّنا الحدود الفاصلة بين الانتفاع المشروع بها والانقياد المذموم لها، ثم يناقش أبرز السمات التي تميّز أتباع الشهوات، والآثار الفرديّة والاجتماعيّة المترتّبة على غلبة هذا الدافع في حياة الإنسان.

الشهوات بين الفطرة والاستغلال الشيطاني

بعد أن تبيّن أنّ الشيطان يمثّل المصدر الخارجي للإضلال، يبرز اتّباع الشهوات بوصفه الحلقة الثانية في سلسلة الانحراف؛ إذ إنّ الشيطان لا يملك أن يُكره الإنسان على المعصية، وإنّما يجد في الشهوات المنفلتة المدخل الأوسع إلى النفس، فيستثمر ميولها الفطرية ويوجّهها نحو غير غايتها المشروعة. ومن هنا، لا تكمن الخطورة في وجود الشهوة نفسها، لأنّها جزء من البنية الفطرية للإنسان، وإنّما في تحوّلها إلى مرجعية موجّهة للسلوك ومقدَّمة على هداية الوحي وضوابط الشرع.

وقد قرّر القرآن الكريم هذه الحقيقة بوضوح، فبيّن أنّ الميل إلى الشهوات من سنن الفطرة الإنسانية، فقال تعالى :﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ {آل عمران: ١٤}. فالآية لا تذمّ هذه الشهوات في ذاتها، وإنّما تضعها في إطارها الصحيح بوصفها متاعاً مؤقّتاً ووسيلةً للاختبار، في مقابل المآب الحسن الذي أعدّه الله لمن أحسن توظيفها ولم يجعلها غايةً لحياته. ومن ثمّ فإنّ الانحراف لا ينشأ من وجود الميل، بل من الاستسلام له حتى يصبح حاكماً على الإرادة وموجّها للسلوك.

ولهذا ربط القرآن بين اتّباع الشهوات وبين ضياع العلاقة بالله والانحراف عن سبيل الهداية، فقال سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ {مريم: ٥٩}. وتكشف الآية عن تلازم دقيق بين إهمال العبادة والانقياد للشهوة؛ فحين تضعف الصلة بالله تتقدّم الشهوة إلى موقع القيادة،

فيغدو الإنسان أسيرا لرغباته، وهو ما يمثّل الغاية التي يسعى إليها الشيطان في مشروعه الإغوائي.

ويأتي نهج‌البلاغة ليعمّق هذا التصوّر القرآني، فلا يقتصر على بيان أثر الشهوات في انحراف الفرد، بل يكشف امتدادها إلى المجالين الاجتماعي والسياسي، ويبيّن أنّ الفتن الكبرى تبدأ من استجابة الإنسان لأهوائه. يقول الإمام علي (ع) :«إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّهِ وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّهِ» (الخطبة: ٥٠). ويكشف هذا النص عن العلاقة السببية بين اتّباع الهوى وظهور البدع؛ إذ إنّ مخالفة الوحي لا تبدأ غالباً من شبهة علمية، بل من رغبة نفسية تبحث عن غطاء فكري أو ديني يبرّرها.

وفي هذا السياق يؤكّد النقوي القائني أنّ منشأ البدعة في الدين هو اتّباع الهوى، فانّ البدعة فى الدّين منشأها متابعة الهوى لا غير (النقوي القائني، د.ت: ٧/ ٨٤). كما يربط الموسوي هذا المبدأ بالواقع التاريخي، مبينا أنّ كثيرا من الانقسامات الفكرية والسياسية التي عرفها المجتمع الإسلامي كانت ثمرة الرغبة في الزعامة وطلب الدنيا، حيث يدفع حبّ الرئاسة بعض الناس إلى ابتداع الآراء المخالفة للكتاب، ثم يجدون من يتبعهم تقليدا من غير بصيرة (الموسوي، ١٤١٨ق: ١/ ٣٤٦).

ويتبيّن من مجموع النصوص أنّ الشهوات لا تتحوّل إلى مانع عن الكمال لمجرّد وجودها، وإنّما حين تنفلت من الضابط الشرعي، فتنتقل من كونها ميولا فطرية إلى قوّة موجّهة للإنسان، فيستجيب لها على حساب الوحي والعقل. وعندئذ لا يبقى أثرها مقصورا على فساد الفرد، بل يمتدّ إلى إنتاج الفتن، وظهور البدع، واضطراب النظام الاجتماعي. ومن هنا كان اتّباع الشهوات يمثّل المرحلة الثانية في مشروع الإضلال؛ فالشيطان يزيّن، والشهوة تستجيب، وباستجابتها يبدأ الانحراف الذي يتطوّر لاحقا إلى اتّباع الهوى، وهو ما سيتناوله المبحث التالي.

سمات أتباع الشهوات وعواقب إتّباعها

إذا كان اتّباع الشهوات يمثّل الباعث الداخلي الذي يمنح الشيطان القدرة على النفاذ إلى النفس، فإنّ أثره لا يقتصر على مجرّد الوقوع في بعض المعاصي، بل يترك بصماته الواضحة على شخصية الإنسان وسلوكه ومنظومة قيمه. ومن خلال نصوص نهج‌البلاغة يمكن رصد مجموعة من السمات التي تتكرّر عند من استسلموا لشهواتهم، حتى غدت هذه السمات ملامح مميّزة لهم، تبدأ بانحراف المرجعية الفكرية، وتنتهي بفقدان القدرة على مقاومة دوافع النفس.

تحكيم الذات وجعل النفس معيارا للحق والباطل

من أخطر النتائج التي تترتّب على اتّباع الشهوات انقلاب موازين الحكم؛ إذ يصبح الإنسان هو المرجع في تحديد الحق والباطل، بدلا من الاحتكام إلى الوحي والعقل. ويصف الإمام علي (ع) هذه الحالة بقوله: «يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرَى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ» (الخطبة: ٨٨).

ويكشف النص عن تحوّل خطير في بنية التفكير؛ فالمعيار لم يعد ما شرّعه الله، بل ما تستحسنه النفوس وتقبله الأهواء. ولذلك لا يرجعون عند الملمات إلى كتاب الله وسنّة رسوله، وإنما يحتكمون إلى آرائهم الشخصية، وكأنّ كل واحد منهم قد نصب نفسه مرجعا مستقلا. ويشير المنتظري إلى أنّ هؤلاء يتوهّمون القدرة على الاجتهاد في كل قضية، حتى يصبح الهوى هو المقياس الحقيقي للحكم على الأشياء، وإن خالف مقتضى العقل والشرع (المنتظري، ١٣٨٣ش: ٣/ ٤٣١). ومن الطبيعي أن يفضي هذا الاستبداد بالرأي إلى انطفاء نور البصيرة والانفصال التدريجي عن منهج الهداية.

طول الأمل والغفلة عن الموت

ومن السمات الملازمة لأهل الشهوات استغراقهم في الآمال البعيدة، حتى ينسوا حقيقة الموت وقرب الرحيل. وهذا الوهم يزرع في النفس شعورا زائفا بطول البقاء، فيؤجّل الإصلاح وتُسوَّف التوبة. وقد نبّه الإمام (ع) إلى هذه الحقيقة بقوله: «وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ

عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ» (الخطبة: ١٤٧).

ويذهب مكارم الشيرازي إلى أنّ هذا الهلاك لا يقتصر على الخسران الأخروي، بل يشمل انهيار الإنسان معنويا واجتماعيا أيضا؛ لأنّ طول الأمل يورث التعلّق بالدنيا والانغماس في الشهوات حتى يفقد الإنسان مقوّمات نجاته في الدنيا والآخرة (مكارم الشيرازي، ١٣٧٥ش: ٥/ ٦٨٠). كما يرى ابن أبي الحديد أنّ «الموعود» هو الموت، وأنّ «القارعة» هي المصيبة التي لا يستطيع الإنسان دفعها (ابن أبي الحديد، د.ت: ٩/ ١٠٦)، بينما يبيّن ابن ميثم أنّ باب الاعتذار والتوبة يُغلق عند حضور الأجل، فلا تنفع الحسرة بعد فوات الأوان (ابن ميثم، ١٤٠٤ق،: ٣/ ٢٠٢).

الطمع والذل

ولا يقف أثر الشهوة عند حدود الميل النفسي، بل يتحوّل إلى طمع يستعبد صاحبه ويجرّده من كرامته. ولهذا قرن الإمام (ع) بين الطمع والذل في أكثر من موضع، فقال: «أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ» (الحكمة ٢)، وقال أيضا: «الطَّامِعُ فِي وِثَاقِ الذُّلِّ» (الحكمة: ٢٢٦).

وتبرز في هذين النصين حقيقة تربوية دقيقة، وهي أنّ الإنسان لا يفقد عزّته بسبب الفقر، وإنما بسبب الطمع فيما في أيدي الآخرين. ولذلك يرى مكارم الشيرازي أنّ الطامع يضحّي بكرامته في سبيل تحصيل ما يشتهي، فيقبل من المهانة ما لا يقبله صاحب النفس العزيزة ويضطر إلى قبول كلّ صنوف الذل، ومدّ يد السؤال إلى الآخرين (مكارم الشيرازي، ١٣٧٥ش: ١٢/ ٣١). ويضيف البيهقي النيشابوري أنّ إطلاق اللسان بغير ضابط صورة أخرى من صور الاستخفاف بالنفس وإذلالها، ذلك، لأن الطبع يميل إلى التكلم بما يتأذى به الناس فمن انقاد للسانه قد تعرض لهوانه لأنه يطرق على نفسه بسفاهته سفاهةَ غيره، ثم إن كثرة الكلام يذهب بمهابة المرء (البيهقي النيسابوري، ١٣٧٥ش: ٢/ ٦٠٠)، بينما يفسّر الموسوي الطمع بأنّه تعلّق القلب بما في أيدي الناس، وهو ما يجعل صاحبه أسيرا للذل بصورة دائمة، فمن هنا كان في وثاق الذل كل طامع و راغب بما في أيدي الناس (الموسوي، ١٤١٨ق: ٥/ ٣٨٢).

ضعف الإرادة وسرعة الانتكاس

ومن خصائص الشخصية التي تقودها الشهوة أنّها تستجيب للموعظة استجابة عابرة، لكنها لا تملك القدرة على الثبات والاستمرار. ولذلك شبّه الإمام (ع) حال أصحابه الذين لا يثبتون على الحق بقوله: «أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَ تَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَنِيَّةِ، عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَ أَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ» (الخطبة: ٩٧).

وتصوّر هذه العبارة ضعف الإرادة أمام ضغط الشهوات؛ فالتأثّر بالموعظة يبقى ما دام المؤثر حاضرا، ثم لا يلبث أن يزول أمام نوازع النفس. ويذكر مكارم الشيرازي أنّ بعض المنافقين كانوا يعملون على إبطال أثر كلمات الإمام (ع)، فيخرج الناس من مجلسه متأثرين ثم يعودون سريعا إلى ما كانوا عليه، حيث كانوا يُقبلون إلى الإمام (ع) صباحا وقد طهَّروا قلوبهم بماء التوبة، ثم يعودون إليه مساء بقلوب مظلمة، وأفكار منحرفة، ونفوس متزلزلة. ولم يكن ذلك إلا نتيجة لافتقارهم إلى الشخصية الراسخة، وضعف إرادتهم، وسرعة تأثرهم بكلّ شخص أو فكرة (مكارم الشيرازي، ١٣٧٥ش: ٤/ ٢٩٩). ويؤكد المنتظري أنّ تأثير الموعظة لم يكن يستمر عندهم أكثر من مدة يسيرة؛ فما إن يعودوا في أول الليل حتى يسترجعوا حالتهم السابقة من الانحراف (المنتظري، ١٣٨٣ش: ٤/ ١٨٨)، في حين يرى المدرّس الوحيد أنّ هذا يدلّ على وصول الداء إلى مرحلة لم تعد قابلة للعلاج والإصلاح ما لم يحدث تغيّر جذري في النفس (المدرّس الوحيد، د.ت: ٦/ ٣٨٧).

إطلاق البصر واستثارة الشهوة

ويتابع الإمام (ع) حديثه عن مظاهر الانقياد للشهوة بالإشارة إلى أحد أهم منافذها العملية، وهو إطلاق البصر؛ لأنّ كثيرا من الانحرافات تبدأ بنظرة لا تُضبط. يقول (ع): «إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا؛ فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ، فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَتِهِ» (الحكمة: ٤٢٠).

ولا يكتفي الإمام بالتحذير من النظر، بل يقدّم علاجا عمليا يوجّه الغريزة إلى إطارها المشروع، بما يحفظ التوازن النفسي ويغلق باب الفتنة. وفي هذا المعنى يستشهد مغنية بقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ {النور: ٣٠}، مبينا أنّ النظرة قد تكون الشرارة الأولى التي توقظ الشهوة وتقود إلى الفتنة (مغنية، ١٩٧٩م: ٤/ ٤٦٠).

تكشف هذه النصوص أنّ اتّباع الشهوات لا يقتصر على سلوك جزئي، بل يُحدث تحوّلا تدريجيا في شخصية الإنسان؛ فيبدأ بتقديم الرأي الشخصي على الوحي، ثم يورث طول الأمل، ويقود إلى الطمع وفقدان الكرامة، ويضعف الإرادة أمام دوافع النفس، حتى تنفتح منافذ الفتنة عبر الحواس. وبهذا تتكوّن منظومة متكاملة من الانحرافات تجعل الشهوة صاحبة القرار في حياة الإنسان، فتغدو مرحلة ممهّدة للانتقال إلى المعوّق الثالث، وهو اتّباع الهوى، حيث لا تبقى الشهوة مجرّد ميل عارض، بل تتحوّل إلى مرجعية تحكم الفكر والسلوك معا.

إتّباع الهوى: حجاب البصيرة ومفسد الإرادة

يمثّل الهوى المرحلة الأعمق في سلسلة المعوقات التي تحول دون بلوغ الإنسان الكمال؛ فإذا كان الشيطان مصدر الإغواء الخارجي، وكانت الشهوات الأداة التي ينفذ منها إلى النفس، فإن الهوى هو الحالة النفسية الراسخة التي تستقر فيها تلك المؤثرات حتى تغدو مقياسا للحكم على الأشياء. ومن هنا لا يقتصر الهوى على كونه ميلا عارضا، بل يتحول إلى سلطة داخلية تُقدَّم على الوحي والعقل، فتختل بها موازين الإدراك، ويغدو الإنسان أسير رغباته، يرى الحق باطلا والباطل حقا بحسب ما يوافق ميوله. ولذلك أولى نهج‌البلاغة هذه الآفة عناية خاصة، وعدّاها من أخطر أسباب الانحراف عن سبيل الله؛ لأنها لا تفسد الفكر فحسب، بل تُضعف الإرادة، وتحجب البصيرة، وتُعطّل قابلية الإنسان للهداية. ومن هذا المنطلق يتناول هذا المبحث حقيقة الهوى في ضوء الرؤية العلوية، ثم يبيّن مظاهره وآثاره في تكوين الشخصية المنحرفة.

الهوى بين العبودية للذات والصد عن الحق

ينطلق القرآن الكريم في معالجته للهوى من بيان حقيقته قبل الحديث عن آثاره؛ إذ لا ينظر إليه بوصفه مجرد ميل فطري، وإنما يعده انحرافا في مرجعية الإنسان، حين تنتقل الطاعة من الله تعالى إلى رغبات النفس، فيغدو الهوى هو الحاكم الفعلي على الفكر والسلوك. ومن هنا جاء التعبير القرآني في غاية القوة والوضوح، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ [الجاثية: ٢٣].

ولا يراد باتخاذ الهوى إلها عبادة الأصنام بالمعنى المعروف، وإنما يراد به الخضوع المطلق لما تمليه النفس، حتى تصبح الرغبة هي المرجع الأعلى في الاختيار والعمل. ولذلك يقرر مكارم الشيرازي أن العبادة في الآية بمعنى الطاعة المطلقة؛ فمن جعل هواه المرجع النهائي في أفعاله فقد عبده من حيث لا يشعر. ومن الواضح أنّ الإنسان عند ما يضرب صفحا عن أوامر الله سبحانه، و يتبع ما تمليه عليه شهواته، و يقدم طاعتها على طاعة الله سبحانه و يعتبر ذلك حقّا، فقد عبد هواه، و هذا عين معنى العبادة، إذ أنّ أحد المعاني المعروفة للعبادة هو الطاعة (مكارم الشيرازي، ١٣٧٩ش: ١٦/ ٢١٣). وبهذا ينتقل الهوى من كونه انفعالا نفسيا إلى كونه نظاما داخليا يعيد تشكيل رؤية الإنسان للحقائق، فلا يعود يحاكم رغباته إلى الوحي، وإنما يحاكم الوحي إلى رغباته.

ويعزز القرآن هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، فجعل الهوى المقابل المباشر للهداية الإلهية، لأن الإنسان إذا استغنى عن الوحي لم يبق أمامه إلا ميوله الذاتية. ويرى المدرسي أن هذه الآية تؤكد قصور الإنسان عن الاهتداء بنفسه، وأن الاستقلال عن هداية الله لا يزيده إلا بُعدا عن الحقيقة (المدرسي، ١٤١٩ق: ٩/ ٣٣٨).

وينطلق الإمام علي (ع) من هذا الأصل القرآني ليبين أن الهوى أخطر ما يهدد حياة الإنسان الإيمانية، حتى قرنه بطول الأمل في أشهر وصاياه، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ» (الخطبة: ٤٢). ويكشف هذا النص عن العلاقة الوثيقة بين الهوى والضلال؛ إذ إن أثره الأول هو

الصدّ عن الحق، أي تعطيل قدرة الإنسان على إدراكه والالتزام به. ويرى مكارم الشيرازي أن الهوى يلقي ستاراً كثيفاً على بصيرة العقل، فلا يعود الإنسان يرى الحق على حقيقته، بل يزيّن الباطل الموافق لأهوائه ويبرره حتى يبدو أكثر قبولا من الحق، وفي المقابل يشوّه الحق إذا كان مخالفا لهوى النفس، حتى يظهر في نظر صاحبه أسوأ من الباطل (مكارم الشيرازي، ١٣٧٥ش: ٢/ ٤٦٢).

ويتضح من مجموع هذه النصوص أن القرآن الكريم و نهج‌البلاغة لا ينظران إلى الهوى بوصفه مجرد ضعف أخلاقي، وإنما يعدانه تحولا في مرجعية الإنسان؛ إذ تنتقل القيادة من الوحي إلى النفس، ومن ميزان الحق إلى ميزان الرغبة، فتتعطل وظيفة العقل في التمييز، وتفقد الإرادة قدرتها على مقاومة الانحراف. ومن هنا كان الصد عن الحق أول ثمرة من ثمار الهوى، لأنه يمثل بداية الانفصال بين الإنسان والهداية الإلهية، وتمهيدا لما يترتب عليه من آثار أعمق في السلوك الفردي والحياة الاجتماعية.

آثار الهوى ومظاهره في الفرد والمجتمع

إذا كشف المبحث السابق عن حقيقة الهوى بوصفه مرجعية باطنية تنازع الوحي سلطانه على الإنسان، فإن هذا المبحث يتتبع آثاره العملية بعد أن يستولي على النفس ويغدو موجها للفكر والسلوك. فالهوى لا يقف عند حدود الانحراف في التصور، بل يفضي إلى اضطراب الإدراك، وإضعاف الإرادة، ثم يتجاوز أثره الفرد ليصيب بنية المجتمع، فينشأ عنه ضلال مركب تتداخل فيه الأبعاد المعرفية والأخلاقية والاجتماعية.

ويجسد الإمام علي (ع) هذه المرحلة بأبلغ تصوير في رسالته إلى معاوية، إذ يقول: «كِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطًا، وَضَلَّ خَابِطًا» (الرسالة: ٧). ولا يصف الإمام (ع) هنا مجرد خطأ في الرأي، وإنما يرسم المراحل المتعاقبة للانحراف؛ إذ تبدأ بفقدان البصيرة التي تهدي الإنسان إلى الحق، ثم بفقدان القيادة التي ترشده إليه، فلا يبقى أمامه إلا الهوى قائدا، والضلال دليلا. وعندئذ لا يقتصر الخلل على الفكر، بل ينعكس على القول والعمل جميعا؛ فيغدو كلامه لغطا يخلو من الحجة، وسلوكه خبطا لا يقوم على هدى ولا يقود إلى غاية. ويعلق الموسوي بأن الاستجابة للهوى جاءت من غير تروٍّ ولا مراجعة، حتى صار الضلال هو القائد الفعلي للإنسان بعد أن كان ينبغي أن يكون الوحي هو قائده، وإنه يتحرك على غير هدى من الله ولا طريق له يرشده إلى الخير (الموسوي، ١٤١٨ق: ٤/ ١٤١).

ولا تنحصر آثار الهوى في إفساد الفرد، بل تمتد إلى الحياة الاجتماعية؛ لأن المجتمع الذي تتحكم فيه الأهواء يفقد القدرة على الاجتماع حول مبدأ ثابت، وتتحول العلاقات بين أفراده إلى علاقات تحكمها المصالح والرغبات المتعارضة. وقد صور الإمام (ع) هذه الحقيقة في خطابه لأصحابه بقوله: «مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي، وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ، وَلَا زَوَافِرُ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا، فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ» (الخطبة: ٣٤). وتكشف هذه الصورة البيانية عن أن غياب المرجعية الجامعة يجعل الجماعة عرضة للتفرق الدائم؛ فكما أن الإبل إذا فقدت راعيها تتيه في كل اتجاه، كذلك الأفراد إذا استبدت بهم الأهواء لا يجتمعون على رأي، ولا يثبتون على موقف، لأن كلا منهم يجعل هواه مرجعا لقراراته. ويبين النقوي القائني أن إقامة العدل، وإحياء المعروف، وإماتة المنكر، لا تتحقق إلا بأعوان يوثق بهم (النقوي القائني، د.ت، ج٦، ص٧٢). أما إذا غلبت الأهواء فإن هذه الثقة تنهار، وتحل محلها الفرقة والاضطراب، فتفقد الجماعة قدرتها على أداء رسالتها

ويبلغ أثر الهوى غايته حين يقترن بطول الأمل؛ لأن كلا منهما يكمل وظيفة الآخر في إبعاد الإنسان عن طريق الكمال. وقد جمع الإمام (ع) بينهما في قوله: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ، فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ» (الخطبة: ٤٢). فالهوى يفسد معيار التمييز بين الحق والباطل، بينما يضعف طول الأمل الدافع إلى العمل للآخرة، فيجتمع فساد الإدراك مع فتور الإرادة، ويصبح الإنسان أسير الحاضر وشهواته، غافلا عن المصير الذي ينتظره. ويؤكد الإمام هذا المعنى في حكمته المروية :«مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ

الْعَمَلَ» (الحكمة: ٣٦). لأن استبعاد الموت من دائرة الشعور يورث التسويف، ويؤخر التوبة، ويضعف المبادرة إلى العمل الصالح.

ومن خلال هذه النصوص يتضح أن الإمام علي (ع) يعالج الهوى بوصفه قوة مفسدة لمنظومة الإنسان كلها؛ فهو يبدأ بإضعاف البصيرة حتى يفقد الإنسان القدرة على التمييز، ثم ينعكس على الإرادة فيغدو أسير التسويف وطول الأمل، ولا يقف أثره عند الفرد، بل يمتد إلى المجتمع فيبدد وحدته ويقوض الثقة بين أفراده. وبهذا يغدو الهوى حلقة محورية في منظومة المعوقات؛ لأنه يحول الانحراف من نزوة عابرة إلى حالة مستقرة تؤثر في الفكر والعمل والعلاقات الاجتماعية، وتمهد الطريق لاستغراق الإنسان في زخارف الدنيا، وهو ما يعالجه المبحث الآتي.

اتّباع الدنيا وزخارفها: الإطار الجامع للمعوقات

إذا كان اتّباع الشيطان يمثّل المصدر الخارجي للإغواء، واتّباع الشهوات الدافع الداخلي واتّباع الهوى الموجّه الذي يُفسد البصيرة والإرادة، فإنّ اتّباع الدنيا يمثّل الإطار الأوسع الذي تلتقي فيه هذه العوامل جميعا. فالدنيا ليست مجرّد موضوع للرغبات، بل هي الميدان الذي تتجلّى فيه وساوس الشيطان، وتتحرّك فيه الشهوات، ويمارس الهوى سلطانه على الإنسان. ومن هنا كان الافتتان بزخارفها من أخطر المعوقات التي تصرف القلب عن الآخرة، وتغريه بالباقي الفاني، حتى يصبح ميزانه محصورا فيما يملك لا فيما يقدّم لله تعالى. ولهذا أكثر القرآن الكريم من التحذير من الاغترار بالدنيا، كما صوّر الإمام عليّ(ع) حقيقتها بأساليب تجمع بين البيان النظري والتجسيد العملي كاشفا عن أثر المال والزينة في تغذية الشهوات، وما يفضي إليه التعلّق بها من حسرة وخسران يوم القيامة.

الدنيا بين الزينة الزائلة والفتنة الكبرى

بعد بيان أثر الشيطان والشهوات والهوى في إبعاد الإنسان عن سبيل الكمال، تبرز الدنيا بوصفها الإطار الذي تتفاعل فيه هذه الموانع جميعا. فهي البيئة التي يجد فيها الشيطان مجالا للإغواء، والشهوات موضوعا للإشباع، والهوى ميدانا للتسلط؛ ولذلك لم يكن التحذير القرآني منصبّا على الدنيا في ذاتها، وإنما على الاغترار بها واتخاذها غاية نهائية تنسي الإنسان حقيقة المصير.

وقد أولى القرآن الكريم الحياة الدنيا عناية واسعة، فورد ذكرها في مواضع كثيرة مقرونا بالتنبيه إلى زوالها وسرعة انقضائها، وبيان أنها ليست دار قرار، وإنما مرحلة ابتلاء ومزرعة للآخرة. ومن اللافت أن القرآن وصفها بعدد من الألفاظ التي تبرز طبيعتها المؤقتة، كالمتاع في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤]، والعَرَض في قوله سبحانه: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤]، والزينة في قوله تعالى: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، والزهرة في قوله سبحانه: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه: ١٣١]، والحرث في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ [الشورى: ٢٠]. ورغم اختلاف هذه التعابير، فإنها تلتقي في تأكيد حقيقة واحدة، وهي أن الدنيا مهما بدت مزدهرة فإنها محدودة الأجل، لا تستحق أن تكون غاية الإنسان أو محور اهتمامه.

ولترسيخ هذه الحقيقة، ضرب القرآن مثلا بديعا للحياة الدنيا، فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥]. فكما يزهو النبات بعد نزول المطر ثم لا يلبث أن يذبل ويتفرق هشيماً، كذلك الدنيا تبهر الأبصار زمنا يسيرا ثم تنقضي، ولا يبقى منها إلا ما قدمه الإنسان زاداً لآخرته. ومن هنا جاء التحذير الإلهي الصريح: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]، لأن أخطر ما في الدنيا ليس وجودها، بل قدرتها على خداع الإنسان وإيهامه بالدوام والاستغناء.

وانطلاقا من هذا التصور القرآني، قدم الإمام علي (ع) في نهج‌البلاغة صورا عملية تجسد حقيقة الدنيا وتسقط عنها هالة الزينة الكاذبة. فقد مر (ع) على قاذورات في مزبلة فقال: «هَذَا مَا بَخِلَ بِهِ الْبَاخِلُونَ»، وفي رواية أخرى: «هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ» (الحكمة: ١٩٥). وتكشف هذه الصورة أن ما يتقاتل الناس عليه ويتفاخرون به لا يلبث أن يفقد قيمته، فيتحول إلى شيء لا يلتفت إليه أحد. ولهذا يرى مؤيد العلوي أن الإمام أراد بيان أن كل أمر تحسد عليه و تبخل به النفوس يصير إلى هذه الحالة إنه لحقير (مؤيد العلوي، ١٤٢٤ق: ٦/ ٢٨٧٦).

ولا يقف الإمام (ع) عند بيان زوال الدنيا، بل ينتقل إلى بيان أثرها في توجيه الانتماء والولاء، فيقول: «أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ» (الحكمة: ٣١٦). فالمال هنا ليس مجرد وسيلة، وإنما يتحول إلى قائد يوجه أصحابه ويحدد خياراتهم، كما يتبع النحل يعسوبه. ومن ثم فإن الفارق بين المؤمن والفاجر لا يكمن في امتلاك المال أو فقدانه، بل في الجهة التي تتولى قيادة الإنسان؛ فالمؤمن يجعل الحق إمامه، بينما يجعل الفاجر المال قبلته. وقد أشار مغنية إلى أن هذا الوصف تجسد في النموذج التاريخي لمعاوية الذي اشترى بالمال دين الرجال و ضمائرهم (مغنية، ١٩٧٩م: ٤/ ٤٠٥).

ويكتمل هذا البناء حين يكشف الإمام (ع) العلاقة العضوية بين المال والشهوات بقوله: «الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ» (الحكمة: ٥٨). فليست المشكلة في المال من حيث هو مال، وإنما في تحوله إلى الوقود الذي يغذي الشهوات ويوسع سلطان الهوى، فيدفع الإنسان إلى الترف والاستعلاء والتعلق بالمظاهر، حتى يغفل عن وظيفته الحقيقية في عمارة الآخرة. ومن هنا تتجلى وحدة المعوقات الأربعة؛ فالشيطان يوسوس، والشهوة تستجيب، والهوى يبرر، والدنيا توفر البيئة التي تنمو فيها هذه العناصر وتتفاعل، فتغدو سببا في انحراف الإنسان عن طريق الرشاد.

يتبين من من هذا العرض أن القرآن الكريم و نهج‌البلاغة يقدمان رؤية متكاملة للدنيا، تقوم على التمييز بين الانتفاع بها والاغترار بها. فهي في ذاتها متاع مؤقت وزينة زائلة، غير أن الخطر يكمن في تحويلها إلى غاية تقدم على الآخرة. وقد جسد الإمام علي (ع) هذه الحقيقة بصور عملية تسقط قيمة المظاهر الزائلة، وربط بين المال والشهوات بوصفه مادتها ومحفزها. وبذلك تتجلى الدنيا بوصفها الإطار الجامع الذي تلتقي فيه وسوسة الشيطان، وحركة الشهوة، وسلطان الهوى، الأمر الذي يمهد للمبحث التالي، حيث تدرس آثار الاغترار بالدنيا وعواقبه في الدنيا والآخرة.

عاقبة الاغترار بالدنيا بين الكرامة الزائفة والحسرة الأبدية

إذا كانت الدنيا ـ كما تبيّن في المبحث السابق ـ زينة عابرة وموضع ابتلاء لا دار قرار، فإن أخطر ما يترتب على الاغترار بها هو انقلاب موازين الإنسان؛ فيحسب ما يرفعه بين الناس رفعة حقيقية، بينما يكون سبب سقوطه عند الله. ومن هنا يكشف الإمام علي (ع) أن الافتتان بالدنيا لا يقتصر على سوء استعمال المال أو التعلق بالمظاهر، بل يمتد إلى فساد الميزان القيمي، حتى يستبدل رضا الخالق بثناء المخلوقين، ويقدم المكسب العاجل على المصير الأبدي.

ويبدأ الإمام (ع) بتصوير هذا الانقلاب في موازين الكرامة، من خلال بيان أثر إنفاق المال في غير موضعه، فيقول: «أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ... وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ، فَشَرُّ خَلِيلٍ وَأَلْأَمُ خَدِينٍ» (الخطبة: ١٢٦). ويكشف هذا النص عن حقيقة اجتماعية ونفسية عميقة؛ إذ قد يكسب المال غير المشروع صاحبه وجاهة ونفوذا في المجتمع، غير أن تلك المكانة لا تقوم على الوفاء ولا على القيم، وإنما على المصالح المؤقتة، ولذلك تنهار عند أول حاجة. ومن هنا يرى مكارم الشيرازي أن الإمام (ع) يلفت النظر إلى أن النفوذ الذي يُشترى بالمال نفوذ زائل، بينما تبقى الخسارة الحقيقية في ميزان الله، ولهذا كان حريصا على المساواة في توزيع بيت المال، منعا لتحويل المال إلى أداة للنفوذ والفساد (مكارم الشيرازي، ١٣٧٥ش: ٥/ ٣٠٨، ٣١٠).

ولا يقف أثر الاغترار بالدنيا عند حدود العلاقات الاجتماعية، بل يمتد إلى إفساد الضمير وإضعاف الحس الروحي، وهو ما يصوره الإمام (ع) بقوله: «ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ، ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي، ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ» (الخطبة: ١٨٧). فالإمام (ع) لا يتحدث عن سكر الجسد، وإنما عن سكر القلب الذي تحدثه وفرة النعمة إذا أورثت الغفلة والغرور. وقد أوضح الموسوي أن المقصود أن تحصيل المال

الحلال في زمن الفتن يصبح شديد المشقة، وأن العطاء إذا خالطته المنة أو الرياء فقد يحرم صاحبه ثوابه، بل قد يكون الآخذ أعظم أجرا منه، فالآخذ يؤجر و يثاب و المعطي يأثم و يعاقب (الموسوي، ١٤١٨ق: ٣/ ٢٤٨).

ويبلغ هذا المسار نهايته الطبيعية يوم القيامة، حيث تتحول لذائذ الدنيا كلها إلى حسرة لا تعوّض. ويجسد الإمام (ع) هذه الحقيقة في صورة مؤثرة بقوله: «إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ، وَدَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ» (الحكمة: ٤٢٩). وتبرز هذه الحكمة المفارقة الأشد إيلاما؛ إذ يتحمل الإنسان مشقة جمع المال بوسائل محرمة، ثم لا ينتفع به، بل يكون سببا في نجاة غيره وهلاك نفسه. ولذلك عدّ مكارم الشيرازي هذه الصورة من أعظم صور الحسرة، لأن الجامع للمال الحرام يجمع الإثم والتعب، بينما ينال الوارث الثواب إذا أنفقه في وجوه الخير وهو لا يعلم مصدره (مكارم الشيرازي، ١٣٧٥ش: ١٥/ ٤٣٨-٤٣٩).

ويتبين من مجموع هذه النصوص أن الإمام (ع) لا يذم المال في ذاته، وإنما يذم تحوله إلى غاية تقاس بها الكرامة، أو وسيلة لشراء النفوذ والمكانة، أو سبب للغفلة عن الآخرة. فحينئذ يصبح المال عنوانا للاغترار بالدنيا، ويفضي إلى انقلاب القيم، حيث يقدم الفاني على الباقي، ويستبدل رضا الله برضا الناس، فتكون النتيجة خسارة الدنيا والآخرة معا.

يتبين من نصوص نهج‌البلاغة أن الاغترار بالدنيا يمر بمسار متدرّج ينتهي بالخسران الكامل؛ إذ يبدأ بإيهام الإنسان بكرامة اجتماعية يصنعها المال والنفوذ، ثم يفضي إلى غفلة روحية تعطل البصيرة وتفسد النية، ويبلغ ذروته يوم القيامة حين تنكشف الحقيقة فيتحول ما ظن أنه سبب السعادة إلى أعظم أسباب الحسرة. وبهذا يكتمل البناء الذي رسمه البحث للمعوقات الأربعة؛ فالشيطان يثير دواعي الانحراف، والشهوة تستجيب لها، والهوى يبررها، والدنيا توفر ميدانها العملي، فتتضافر جميعها لإبعاد الإنسان عن سبيل الكمال. ومن ثم فإن تجاوز هذه المعوقات لا يتحقق إلا بإعادة ترتيب سلم القيم، وجعل الآخرة هي الغاية، والدنيا وسيلة للعمل الصالح، وهو ما يؤكده القرآن الكريم ويرسخه الإمام علي (ع) في نهج‌البلاغة.

الخاتمة

أسفرت هذه الدراسة عن مجموعة من النتائج الرئيسة التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

١. أظهرت الدراسة أن نهج‌البلاغة يقدم تصورا متكاملا لمعوقات الرشاد، يتمثل في أربعة معوقات رئيسة هي: اتباع الشيطان بوصفه مصدر الإغواء الخارجي، واتباع الشهوات باعتبارها المدخل النفسي للانحراف، واتباع الهوى بوصفه العامل الذي يعطل البصيرة ويفسد الإرادة، واتباع الدنيا باعتبارها الإطار الذي تتجسد فيه آثار المعوقات السابقة. وقد بينت النصوص العلوية، في ضوء الآيات القرآنية ذات الصلة، أن هذه المعوقات تمتد آثارها إلى الجوانب المعرفية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية في شخصية الإنسان، فتحول بينه وبين بلوغ سبيل الرشاد.

٢. أثبت التحليل أن هذه المعوقات لا تعمل بصورة مستقلة، وإنما تتفاعل ضمن منظومة مترابطة ومتدرجة؛ إذ يبدأ الانحراف بالإغواء الخارجي الذي يثيره الشيطان، ثم يجد استجابة في الشهوات، ويتحول مع الهوى إلى معيار يحكم التفكير والسلوك، حتى يستقر في اتباع الدنيا وزخارفها. وبهذا تتكامل هذه المعوقات في صناعة الضلال المركب، وتعطيل مسيرة الإنسان نحو الرشاد المنشود، وهو ما ترسمه الرؤية العلوية في نهج‌البلاغة بأبعادها النفسية والتربوية.

٣. لم يقتصر الإمام علي (ع) على تشخيص معوقات الرشاد، بل قدم منهجا تربويا عمليا للتحرر منها، يقوم على ترسيخ التقوى، ومجاهدة النفس، وغض البصر، وقصر الأمل، واستحضار الموت والآخرة، والرجوع إلى هدي القرآن والسنة، والاعتصام بحبل الله، بما يحفظ سلامة الفرد ووحدة المجتمع. كما تؤكد سيرته العملية أن هذه المبادئ ليست توجيهات نظرية، وإنما تمثل نموذجا تطبيقيا لبناء الإنسان وتوجيهه نحو رشاده، وهو ما تجسد في عدله في توزيع بيت المال، وزهده في الدنيا، وصرامته مع أهل الباطل والبدع.

٤. وفي ضوء هذه النتائج، يتبين أن نهج‌البلاغة يقدم مشروعا تربويا متكاملا لبناء الإنسان، يجمع بين التشخيص الدقيق لمعوقات الرشاد، والتحليل العميق لآليات تشكلها، وبيان السبل العملية للتحرر منها. كما تؤكد الدراسة أن الارتباط الوثيق بين نهج‌البلاغة

والقرآن الكريم يكشف عن وحدة المنهج التربوي في الإسلام، ويفتح آفاقا لدراسات لاحقة تعنى بتطبيق هذه الرؤية العلوية في مجالات التربية، وعلم النفس الإسلامي، وبناء القيم الأخلاقية المعاصرة.

المصادر والمراجع

ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله. (د.ت). **شرح نهج‌البلاغة**. قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي (ره).

ابن‌ميثم البحراني، ميثم بن علي. (١٤٠٤ق). **شرح نهج‌البلاغة**. طهران: دفتر نشر الكتاب.

البيهقي النيسابورى الكيدري، محمد بن حسين، (١٣٧٥ش)، **حدائق الحقائق**، تحقيق: عزيز الله عطاردي، قم: بنياد نهج البلاغه.

الشريف الرضي، محمد بن الحسين. (١٤١٤ق). **نهج‌البلاغة**. تحقيق: صبحي الصالح. قم: مؤسسة دار الهجرة.

الطباطبائی، محمد حسن، (١٣٥٢ش)، **الميزان**، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الفخر الرازي، محمد بن عمر، (١٤٢٠ق)، **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**، چاپ سوم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

فضل‌الله، محمدحسين، (١٤٣٩ق)، **تفسير من وحي القرآن**، بيروت: دار الملاک للطباعة و النشر و التوزيع.

القرآن الكريم

المدرس الوحيد، أحمد، (د.ت)، **شرح نهج‌البلاغة**، د.م، د.ن.

المدرسي، محمد تقي، (١٤١٩ق)، **من هدى القرآن**، تهران: دار محبي الحسين عليه السلام.

مغنية، محمدجواد. (١٩٧٩م). **في ظلال نهج‌البلاغة**. بيروت: دار العلم للملايين.

مكارم الشيرازي، ناصر. (١٣٧٥ش). **پيام امام امير المؤمنين عليه السلام**. طهران: دار الكتب الإسلامية.

مكارم الشيرازى، ناصر، (١٣٧٩ش)، **الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل**، قم: مدرسة الإمام على بن أبي طالب (عليه السلام).

المنتظري، حسين‌علي. (١٣٨٣ش). **درسهايى از نهج‌البلاغة**. طهران: منشورات سرايى.

الموسوي، عباس على، (١٤١٨ق)، **شرح نهج‌البلاغة**، بيروت: دار الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

مؤيد العلوي، يحيى بن حمزة. (١٤٢٤ق). **الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي**. صنعا. مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية.

النقوي القائني، محمدتقي، (د.ت)، **مفتاح السعادة**، طهران: مكتبة المصطفوي.

الهاشمي الخوئي، حبيب الله بن محمد. (١٤٠٠ق). **منهاج البراعة في شرح نهج‌البلاغة**. طهران: المكتبة الإسلامية.

References

The Holy Qur'an.

Nahj-ul-Balagha.

Al-Bayhaqī al-Nīsābūrī al-Kaydarī, Muḥammad ibn Ḥusayn. (1375 SH). Ḥadāʾiq al-Ḥaqāʾiq [Gardens of Truth]. Edited by ʿAzīz Allāh ʿAṭṭārdī. Qom: Bonyād-e Nahj-ul-Balagha. [In Arabic]

Al-Hāshimī al-Khūʾī, Ḥabīb Allāh ibn Muḥammad. (1400 AH). Minhāj al-Barāʿah fī Sharḥ Nahj al-Balāghah [The Method of Eloquence in Commenting on Nahj-ul-Balagha]. Tehran: Al-Maktabah al-Islāmiyyah. [In Persian]

Al-Mudarris al-Waḥīd, Aḥmad. (n.d.). Sharḥ Nahj-ul-Balagha [Commentary on Nahj-ul-Balagha]. N.p.: n.p. [In Persian]

Al-Mudarrisī, Muḥammad Taqī. (1419 AH). Min Hudā al-Qurʾān [Guidance from the Qur'an]. Tehran: Dār Muḥibbī al-Ḥusayn (peace be upon him). [In Persian]

Al-Muntaẓirī, Ḥusayn ʿAlī. (1383 SH). Dars-hāʾī az Nahj-ul-Balagha [Lessons from Nahj-ul-Balagha]. Tehran: Nashrāt-e Sarāʾī. [In Persian]

Al-Mūsawī, ʿAbbās ʿAlī. (1418 AH). Sharḥ Nahj-ul-Balagha [Commentary on Nahj-ul-Balagha]. Beirut: Dār al-Rasūl al-Akram. [In Persian]

Al-Naqawī al-Qāʾinī, Muḥammad Taqī. (n.d.). Miftāḥ al-Saʿādah [The Key to Happiness]. Tehran: Maktabat al-Muṣṭafawī. [In Persian]

Al-Ṭabāṭabāʾī, Muḥammad Ḥusayn. (1352 SH). Al-Mīzān [The Balance]. Beirut: Muʾassasat al-Aʿlamī lil-Maṭbūʿāt. [In Persian]

Faḍl Allāh, Muḥammad Ḥusayn. (1439 AH). Tafsīr Min Waḥy al-Qurʾān [A Commentary Inspired by the Qur'an]. Beirut: Dār al-Malāk lil-Ṭibāʿah wa al-Nashr wa al-Tawzīʿ. [In Arabic]

Fakhr al-Dīn al-Rāzī, Muḥammad ibn ʿUmar. (1420 AH). Al-Tafsīr al-Kabīr (Mafātīḥ al-Ghayb) [The Great Commentary (Keys to the Unseen)]. 3rd ed. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī. [In Persian]

Ibn Abī al-Ḥadīd, ʿAbd al-Ḥamīd ibn Hibat Allāh. (n.d.). Sharḥ Nahj-ul-Balagha [Commentary on Nahj-ul-Balagha]. Qom: Āyat Allāh al-ʿUẓmā Marʿashī Najafī Library. [In Arabic]

Ibn Maytham al-Baḥrānī, Maytham ibn ʿAlī. (1404 AH). Sharḥ Nahj-ul-Balagha [Commentary on Nahj-ul-Balagha]. Tehran: Daftar-e Nashr-e Ketāb. [In Arabic]

Makārim Shīrāzī, Nāṣir. (1375 SH). Payām-e Imām Amīr al-Muʾminīn [The Message of Imam Amīr al-Muʾminīn]. Tehran: Dār al-Kutub al-Islāmiyyah. [In Persian]

Makārim Shīrāzī, Nāṣir. (1379 SH). Al-Amthal fī Tafsīr Kitāb Allāh al-Munazzal [The Exemplary Commentary on the Revealed Book of God]. Qom: Madrasat al-Imām ʿAlī ibn Abī Ṭālib. [In Persian]

Muʾayyid al-ʿAlawī, Yaḥyā ibn Ḥamzah. (1424 AH). Al-Dībāj al-Waḍī fī al-Kashf ʿan Asrār Kalām al-Waṣī [The Clear Brocade: Unveiling the Secrets of the Words of the Successor]. Sana'a: Muʾassasat al-Imām Zayd ibn ʿAlī al-Thaqāfiyyah. [In Arabic]

Mughniyah, Muḥammad Jawād. (1979). Fī Ẓilāl Nahj-ul-Balagha [In the Shade of Nahj-ul-Balagha]. Beirut: Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn. [In Arabic]

.

دراسات حديثة في نهج البلاغة

سال نهم، شماره دوم، پیاپی هجدهم، بهار و تابستان ۱۴۰۵ (۳۱-۴۸)

DOI: 10.30473/anb.2026.78702.1504

«مقاله پژوهشی»

تحلیلی بر موانع رشد و هدایت از منظرامام علی (ع) در نهج‌البلاغه

سمیه سلمانیان

استادیار گروه الهیات، دانشگاه بوعلی سینا، همدان، ایران.

نویسنده مسئول:
سمیه سلمانیان
رایانامه: s.salmanian@basu.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۵/۰۶/۰۳
تاریخ پذیرش: ۱۴۰۵/۰۸/۱۷

چکیده

پژوهش حاضر به بازشناسی موانع رشد در نهج‌البلاغه، تحلیل ماهیت و کشف ارتباط میان این موانع و تبیین روش گذر از آن‌ها در پرتو نگاه علوی می‌پردازد. اهمیت پژوهش در معرفی و تبیین آموزه¬های تربیتی و اخلاقی نهج‌البلاغه در ساختن انسان و تزکیه نفس، و مواجهه با چالش‌های معاصر مانند دنیاطلبی، مادی¬گرایی و ضعف اراده است. این پژوهش با روش تحلیلی–استقرایی، متون نهج‌البلاغه را در پیوند با آیات قرآنی مرتبط و شروح معتبر بررسی کرده تا ابعاد شناختی، روانی و اجتماعی موانع رشد را آشکار سازد. یافته‌ها نشان می‌دهد که نهج‌البلاغه منظومه‌ای به‌هم‌پیوسته از موانع رشد را در چهار محور اصلی ترسیم می‌کند: پیروی از شیطان (منبع فریب بیرونی)، پیروی از شهوات (دروازه انحراف درونی)، پیروی از هوای نفس (مختل‌کننده معیار تشخیص حق از باطل) و پیروی از دنیا (تثبیت‌کننده این تأثیرات در رفتار). این موانع به‌گونه‌ای جداگانه عمل نمی‌کنند، بلکه در ساختاری یکپارچه از فریب بیرونی تا انحراف در ادراک و رفتار، مسیر انسان به سوی رشد را مختل می‌سازند. نگاه علوی در نهج‌البلاغه به تشخیص این موانع بسنده نکرده، بلکه روشی عملی برای عبور از آن‌ها ترسیم کرده است که بر تقوا، مراقبت الهی، زهد، کوتاهی آرزو، یاد مرگ، بازگشت به هدایت قرآن و سنّت و چنگ‌زنی به ریسمان الهی استوار است. نتایج پژوهش تأکید دارد که نگاه علوی، مبتنی بر هدایت قرآنی، الگویی تربیتی هماهنگ در تشخیص علل انحراف، ساختن انسان و هدایت او به سوی رشد و کمال ارائه می‌دهد که می‌تواند راهگشای برنامه‌های تربیتی معاصر باشد.

واژه‌های کلیدی

نهج‌البلاغه، موانع رشد، پیروی از شیطان، پیروی از شهوات، پیروی از هوای نفس، پیروی از دنیا.

استناد به این مقاله:

سلمانیان، سمیه. (۱۴۰۵). تحلیلی بر موانع رشد و هدایت از منظرامام علی (ع) در نهج‌البلاغه. *دراسات حديثة في نهج‌البلاغة*، ۹(۲)، ۳۱-۴۸.
(DOI: 10.30473/anb.2026.78702.1504)

حق انتشار این مستند، متعلق به نویسندگان آن است. ۱۴۰۵ ©. ناشر این مقاله، دانشگاه پیام نور است.

این مقاله تحت گواهی زیر منتشرشده و هر نوع استفاده غیرتجاری از آن مشروط بر استناد صحیح به مقاله و با رعایت شرایط مندرج در آدرس زیر مجاز است.
Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/)